الباب الأول

الحوار وأهميته

مفهوم الحوار في اللغة والاصطلاح:

أصل الحوار من الحور، وهو الرجوع عن الشيء إلى الشيء ومعنى الحوار في اللغة: تراجع الكلام وفي لسان العرب: وهم يتحاورون أي: يتراجعون الكلام والمحاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة وقال الراغب الأصفهاني: المحاورة والحوار: المراودة في الكلام ومنه التحاور وقد وردت المعاني المذكورة لكلمة الحوار في سياق الآيات الكريمة التي تضمنت مادة حور:

قال تعالى: {إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ} قال الإمام القرطبي في تفسيره للآية: أي: لن يرجع حياً مبعوثاً فيحاسب، ثم يثاب أو يعاقب فالحور في كلام العرب الرجوع وقال تعالى: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا} قيل في تفسير الآية: تراجعكما أي في الكلام وقال تعالى:{فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا } قيل في تفسير هذه الآية أي يراجعه في الكلام ويجاوبه والمحاورة المجاوبة، والتحاور: التجاوب وقد جاءت مادة الحور في الأحاديث النبوية الشريفة بمعنى الرجوع ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام من دعا رجلاً بالكفر أو قال: عدو الله وليس كذلك، إلا حار عليه أي: رجع عليه الكفر.

أما التعريف الاصطلاحي للحوار فقريب من معناه اللغوي، وقد عُرّف بأنه مراجعة الكلام بين طرفين أو أكثر دون وجود خصومة بينهم بالضرورة وعُرّف بأن الحوار مناقشة بين طرفين أو أطراف، يُقصد بها تصحيح كلام، أو إظهار حجة، وإثبات حق، ودفع شبهة، ورد الفاسد من القول والرأي ومما قيل في تعريف الحوار: أنه محادثة بين شخصين أو فريقين، حول موضوع محدد، لكل منهما وجهة نظر خاصة به، هدفها الوصول إلى الحقيقة، أو إلى أكبر قدر ممكن من تطابق وجهات النظر، بعيداً عن الخصومة أو التعصب، بطريقة تعتمد على العلم والعقل، مع استعداد كلا الطرفين لقبول الحقيقة، ولو ظهرت على يد الطرف الآخر.

مصطلحات قريبة من مفهوم الحوار:وثمة مصطلحات قريبة من الحوار مثل الجدل والمناظرة والمحاجة والمناقشة والمباحثة، وقد تستخدم بعض هذه المصطلحات مكان الحوار أو في معناه الاصطلاحي وقد فرق بعض أهل العلم بين الحوار وهذه المصطلحات:

الجدل: قيل في تعريف الجدل أنه: إظهار المتنازعين مقتضى نظرتهما على التدافع والتنافي بالعبارة أو ما يقوم مقامها من الإشارة والدلالة وعرف ابن منظور الجدل بمعنى المخاصمة والمناظرة قائلاً: الجدل مقابلة الحجة بالحجة، والمجادلة: المناظرة والمخاصمة.

المناظرة: والمناظرة أيضاً صورة من صور الحوار تفيد النظر والتفكر والبحث عن الحق عبر المحادثة وتبادل الرأي مع الآخرين لذلك عرفها الجرجاني بأنها: النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهاراً للصواب.

وعرفها الشيخ محمد الأمين الشنقيطي بقوله: المحاورة في الكلام بين شخصين مختلفين يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول الآخر، مع رغبة كل منهما في ظهور الحق.

<u>حث القرآن الكريم على الحوار مع الآخر:</u>

وقد حث القرآن الكريم في آيات كثيرة على الحوار الهادف البناء مع غير المسلمين خاصة أهل الكتاب لبيان الحق وإزالة الإبهام والغموض حول القضايا المختلفة فيها فقال تعالى: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ...}فهذه الآية الكريمة ونظائرها تشكل الأرضية الصلبة التي يمكن تأسيس الحوار عليها للوصول إلى الحق.

ومن يتدبر الآيات القرآنية المتعلقة بالحوار يجد بكل وضوح أن القرآن الكريم قد تناول القضايا الأساسية في الحوار مثل: أسباب الحوار ودوافعه وأغراضه وأنواعه، وأصناف المحاورين، وأخلاقيات الحوار

ودائرته وأصوله وضوابطه، وما إلى ذلك ومن يتأمل تلك الآيات يخرج برؤية قرآنية واضحة حول الحوار.

الأهمية :

ولمعرفة أصول الحوار وضوابطه أهمية كبيرة لأن هذه الأصول هي التي تضبط مسار الحوار، وتوجهه نحو الوصول إلى الهدف المنشود لذلك كان الواجب على كل محاور مسلم أن يكون على معرفة بها ويجعلها نصب عينيه حينما يدخل في الحوار مع الآخر.

ونظراً لسعة الموضوع وصعوبة الحديث عن كافة جوانب الحوار وأبعاده في بحث واحد، سنحاول دراسة بعض أصول الحوار مع الآخر وأعني به غير المسلمين في ضوء الآيات القرآنية وفق منهج التفسير الموضوعي.

الانطلاق من المشتركات:

يجمع الإيمان بوحدة أصل الأديان السماوية أتباع هذه الأديان ويمكن أن يكون ذلك أساساً لحوار جاد وهادف بينهم حيث يوفر ذلك أرضية مشتركة للجميع للانطلاق ومن هنا كان من أصول الحوار في القرآن الكريم أن يبدأ المحاور المسلم حواره مع غير المسلمين خاصة أهل

الكتاب منهم من النقاط المشتركة قال تعالى: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ} ولاشك أن تحديد النقاط المشتركة بين المتحاورين منذ البداية والبدء بها يساعد على تشخيص نقاط الخلاف وتحرير محل النزاع ومن ثم محاولة معالجتها بروية وتدرج.

كما أن العناية بالمشتركات يسهم في تقليل الفجوة بين طرفي الحوار أو أطرافها وتزيد من فرص التلاقي وادراك كل طرف لما لدى الطرف الآخر كما أن من شأن البدء بالنقاط المشتركة إزالة سوء التفاهم بين الطرفين أو الأطراف حول بعض النقاط التي ليس عليها خلاف في الأصل ولكن نظراً لعدم تحديد موقف كل طرف منها منذ البداية تعرقل سير الحوار وتمنع وضوح الروية وتؤثر على قضايا أخرى في الحوار.

كما أنه لا يمكن إغفال التأثير الإيجابي للانطلاق من النقاط المشتركة على نفسيات المتحاورين والهدوء الذهني والفكري الذي يتمتعون به إذا ما بدأوا حوارهم في جو من الهدوء بدلاً من أجواء يسودها التوتر النفسي منذ البداية.

والكلمة السواء التي ذكرها القرآن قد فسرت بأنها ما لا يختلف فيه الرسل والكتب، أي القرآن والتوراة والإنجيل، ويفسرها ما بعدها وهي عدم عبادة غير الله وعدم جعل شريك له تعالى وعدم اتباع البشر كائناً

من كانوا فيما أحدثوا من تحليل وتحريم والجميع يقف أمام كلمة سواء على مستوى واحد فلا يعلو أحد على أحد ولا يتعبد أحد أحداً، وهي كلمة عدل كما قال الطبري ولا يرفض الدعوة إلى البدء من النقاط المشتركة إلا من كان متعنتاً مفسداً لا يريد الرجوع إلى الحق القويم.

إن هذه الآية الكريمة تشكل أساساً وأصلاً ثابتاً للحوار بين المسلمين وأهل الكتاب من اليهود والنصارى فهي تدعو الجميع، المسلمين واليهود والنصارى، إلى الكلمة المتفق عليها بين جميع الأنبياء والرسل عليهم السلام وليست مختصة بأحد دون الآخر بل هي مشتركة بين الجميع وهذا الموقف في منتهى العدل والإنصاف في الحوار والجدال.

البدء بالأهم والتدرج:

ولكي يكون الحوار جاداً ومنتجاً ينبغي أن يبدأ المتحاورون من أهم الموضوعات ثم التدرج في الحوار على هذا النسق ولاشك أن اتباع هذا الأسلوب سيجنب المتحاورين ضياع الوقت والجهد كما يساعدهم على معالجة القضايا الكلية التي تتحكم في الفرعيات والتفاصيل الجزئية ويمكن استنباط هذا الأصل من حوار الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم فقد بدأ الأنبياء عليهم السلام حوارهم من أهم قضية وهي توحيد الألوهية ودعوة الناس إلى عبادة الله تعالى لأنها هي الأساس لكل ما يأتي بعدها وقد تكررت هذه الدعوة على لسان أكثر من نبي: {اعْبُدُواْ

اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} فقد بدأ بها نوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام كما أن إبراهيم عليه والسلام قد اتبع أسلوب التدرج مع الخصم في حواره مع قومه لإقناعهم بالإيمان بتوحيد الله تعالى ونبذ الشرك قال تعالى: {فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي }، وهذا على وجه التدرج مع الخصم في الحوار ومعناه ربي بزعمكم {فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ}فقام بإبطال عبادة الكواكب، ثم تدرج على الأسلوب نفسه في إبطال عبادة القمر والشمس حتى انتهى إلى بيان الحق في وجوب عبادة الله تعالى ونبذ الشرك به كلياً.

الإيمان بوحدة أصل الأديان السماوية وهيمنة القرآن:

من الأصول الثابتة في الإسلام الإيمان بأصل وحدة الأديان السماوية التي أنزلها الله سبحانه وتعالى منذ فجر تاريخ البشر على وجه المعمورة وكلف الأنبياء عليهم السلام بتبليغها والدعوة إليها قال تعالى: {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ}فالإيمان بجميع الأنبياء عليهم السلام من مستلزمات العقيدة الإسلامية ولن يكون المسلم مسلماً إذا لم يؤمن بالأنبياء عليهم السلام جميعاً ولاشك أن هذا الإيمان يشكل أساساً لتعامله مع الآخرين من أهل الكتاب، قال تعالى:{قُلْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى

إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}فأصل الإيمان برسالات الأنبياء السابقين في صورتها الحقيقية البعيدة عن التحريف والتبديل يشكل نقطة الانطلاق لدى المسلم في نظرته للآخر غير المسلم من أهل الكتاب وغيرهم والتحاور معهم.

قال تعالى: {شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاء وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ}وبناء على هذا الأصل الذي يضبط الحوار من بدايته وتتحدد علاقة المسلم بشكل عام والمسلم المحاور بشكل خاص بغيره في نقطتين:

أولاً: إنه يقر بما صح نزوله على الأنبياء السابقين بمعنى أنها في الأصل من عند الله عز وجل، قال تعالى: {نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ * مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ} وهاتان الآيتان الكريمتان تقرران وحدة أصل الدين ووحدة الحق الذي اشتملت عليه الكتب المنزلة من عند الله تعالى كالتوراة والإنجيل قبل أن تعبث بهما أيدي التحريف والتبديل،لذلك أنزل الله تعالى القرآن {بِالْحَقِّ} {مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ} أي للتوراة والإنجيل، وهذه الكتب غايتها واحدة

وهي هداية الناس:{هُدًى لِّلنَّاس} وهذا الكتاب الأخير أي القرآن هو {الْفُرْقَانَ}بين الحق الذي تضمنته الكتب المنزلة السابقة والباطل المتمثل في الانحرافات والشبهات التي ألحقت بتلك الكتب بفعل الشهوات والشبهات وعبث أيدي التحريف والتبديل.

ثانياً: ضرورة إقامة الدين الحق ونبذ الافتراق من خلال تصحيح التحريفات الحادثة في الكتب السماوية السابقة من خلال عرض محتويات تلك الكتب على أسس ومبادئ الأديان المتفق عليها من الحق والتوحيد والخير والعدل والأخلاق والتي جاءت في القرآن الكريم في أوضح وأدق صورها وهو قيّم ومهيمن على الكتب السابقة.

ولاشك أن إدراك أصل وحدة الأديان السماوية من قبل المتحاورين والشعور بارتكازها على المبادئ المشتركة عامل مؤثر إيجابي على سير الحوار منذ البداية حيث أن الجميع ينطلقون من أرضية مشتركة توفر لهم قدراً كبيراً من الشعور بالتفاهم .

هيمنة القرآن الكريم على الكتب المنزلة السابقة: فالإيمان بكون القرآن مهيمناً على جميع الكتب المنزلة السابقة من الأصول الثابتة في الدين الإسلامي ؛ لأن القرآن هو آخر كتاب أنزله الله تعالى لهداية البشر وبه انتهت سلسلة الوحي وانقطع إرسال الرسل ولمعرفة هذا الأصل المهم

أثرها الواضح في قضية التعامل مع الآخر غير المسلم عموماً وفي مجال الحوار على وجه الخصوص ويجب أن لا يغيب هذا الأصل عن بال المحاور المسلم وهو يدخل غمار الحوار مع الآخر. قال تعالى:{وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً} فالقرآن الكريم أنزله الله تعالى بالحق أي بالصدق ولا كذب فيه فهو مصدق ومؤتمن وشهيد وشاهد وأمين ورقيب وحاكم وحافظ لجميع الكتب السابقة على اختلاف عبارة مفسري السلف في بيان معنى الهيمنة.

وبما أن القرآن كتاب لا يصير منسوخاً البتة ولا يتطرق إليه التبديل والتحريف حسبما قال تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} و{لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ} فشهادته على أن التوراة والإنجيل والزبور حق وصدق في الأصل قبل التحريف والتبديل باقية أبداً وبذلك حقيقة هذه الكتب تكون معلومة أبداً قال ابن كثير في تعليقه على أقوال المفسرين في معنى المهيمن وهذه الأقوال كلها متقاربة المعنى، فإن اسم المهيمن يتضمن هذا كله، فهو أمين وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله، جعل الله هذا الكتاب العظيم الذي أنزله آخر الكتب وخاتمها، أشملها وأعظمها وأحكمها حيث جمع فيه محاسن ما قبله وزاده من

الكمالات ما ليس في غيره فلهذا جعله شاهداً وأميناً وحاكماً عليها كلها وتكفل بحفظه بنفسه الكريمة وانطلاقاً من هذا الأصل القرآني على المحاور المسلم وهو يحاور الآخر أن يكون واعياً لما يقبل وما يرفض أثناء الحوار من آراء الطرف المقابل وميزانه في ذلك كله القرآن الكريم فالقرآن كما تدل الآية الكريمة بالنسبة لما قبله من الكتب مؤيد لبعض ما في الشرائع، مقرر له من كل حكم كانت مصلحته كلية لم تختلف باختلاف الأمم والأزمان، وهو بهذا الوصف مصدق أي محقق ومقرر، وهو أيضاً مبطل لبعض ما في الشرائع السالفة وناسخ لأحكام كثيرة من كل ما كانت مصالحه جزئية مؤقتة مراعى فيها أحوال أقوام خاصة .

ولاشك أن إدراك المحاور المسلم لهذه الحقيقة واستشعاره لأبعادها قبل الحوار وأثنائه وخلال التدرج في منعطفاته يمنعه من الوقوع في منزلق تقديم التنازلات والتقارب مع الآخر ومجاملته على حساب المبادئ والثوابت التي لا يملك أحد كائناً من كان التفريط فيها فالقرآن هو الصورة الأخيرة لدين الله عز وجل وهو المرجع الأعلي في كل شيء من عقيدة وشريعة ونظام ومنهج، ويجب رد كل اختلاف إلى القرآن ليقول فيه الكلمة الأخيرة سواء كان هذا الاختلاف في التصورات العقدية بين أتباع الديانات السماوية أو في الشريعة التي جاء القرآن بصورتها

الأخيرة، أو كان هذا الاختلاف داخلياً بين المسلمين أنفسهم، ولا قيمة لآراء الناس ما لم تستند إلى هذا المرجع الأخير.

معرفة دائرة الحوار

من الأصول والضوابط القرآنية للحوار أن لا يكون موضوع الحوار قضايا ثابتة في الدين بهدف إعادة النظر فيها فالحوار ليس من قبيل الترف الفكري وحب الاستطلاع حتى يخوض المتحاورون في كل شيء، فثمة قضايا ومسائل لا يجوز الخوض فيها بحوار أو جدال إما بسبب حدود العقل البشري إزاءها، أو بسبب عدم ترتب أي ثمرة علمية أو عملية من ورائها، أو لأنها محسومة أساساً بنص شرعي أو إجماع وهذا الأصل مبني على آيات مثل قوله تعالى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ} ومن القضايا التي ليست محل حوار وجدال البحث في ذات الله تعالى، فهذا منهي عنه شرعاً لأن ذلك من باب القول بلا علم، والعلم شرط أساس من شروط الحوار قال تعالى: {وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً}.

ومن الأمور التي لا تدخل في دائرة الحوار مع الآخر غير المسلم المسائل التي حكم الله تعالى ورسوله فيها بنص محكم جلي أو أجمع

عليها علماء الإسلام، وبالجملة كل ما يحرم الحديث فيه شرعاً لا يجوز الحوار والجدال مع الآخر غير المسلم في شأنه، ومن هنا جميع الأحكام والثوابت الدينية تخرج عن دائرة الحوار لأجل إعادة النظر فيها أو تقويمها أو تغييرها.

وبناء على هذا الأصل لا يمكن للمحاور المسلم أن يحاور غير المسلم في مسائل مثل الإيمان بربوبية الله تعالى، والعبودية له جلّ وعلا، وكونه تعالى متصفاً بجميع صفات الكمال، وتنزيهه عن جميع صفات النقص، وكذلك نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وكون القرآن وحياً منزلاً من عند الله عز وجل ، ووجوب الحكم بما أنزل الله، وحرمة الربا والخمر والزنا، وحجاب المرأة، وإقامة الحدود الشرعية فكل هذه القضايا ثابتة ومقطوع بها في الإسلام، لذلك لا يجوز أن تكون محل حوار وجدال بهدف إعادة النظر أو التعديل فيها، قال تعالى:{الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُن مِّن الْمُمْتَرِينَ} فعلى سبيل المثال الحكم بما أنزل الله منصوص عليه بآيات كقوله تعالى: {فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ}.

وهنا مسألة مهمة تجب الإشارة إليها وهي أن كثيراً من القضايا المحسومة في الدين مثل قضايا الحجاب، وتعدد الزوجات، والجهاد، وتحريم الزنا والخمر والربا، وغيرها هي مسائل منبثقة من قضايا أصولية يجب الاتفاق عليها قبل الدخول في الأمور المتفرعة عنها لأن

مناقشة الفرع مع كون الأصل غير متفق عليه تعتبر نوعاً من الجدل العقيم في كثير من الحالات.

على سبيل المثال:فلو كان الآخر غير المسلم لا يؤمن مثلاً بيوم القيامة والحساب أو عنده أساساً شك في وجود الله تعالى وصفاته، وبدأ يحاور في قضية تحريم الخمر أو الربا أو حجاب المرأة المسلمة أو في تعدد الزوجات والجهاد وهي كلها من القضايا المثارة اليوم في ميادين الهجوم الفكري وموائد الحوار لا يمكن الوصول معه إلى نتيجة ولابد من الحديث معه في أصل دين الإسلام لأنه لو اقتنع بالأصل لا يبقى مجال للنقاش في كثير من الجزئيات المنبثقة عنه وبناء على هذا الأصل يجب على المحاور المسلم أن يكون على وعي ودراية بما يجوز فيه الحوار مع الآخر وما لا يجوز حتى لا تكون ثوابت الإسلام محلاً للأخذ والرد وعرضة للمساومات.

<u>عزة الإيمان والجهر بالحق والثبات عليه:</u>

الشعور بعزة المؤمن والجهر بالحق والثبات عليه أصل من الأصول التي يجب أن يستند عليها الحوار والأصل في هذا قوله تعالى:{وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ}فالمؤمن يخوض الحوار مع الآخر من منطلق الشعور بعزة الإيمان وقوة الحق الذي يؤمن به ويتمسك به،

ولاشك أن هذا الشعور يزيده طمئنينة وثقة بالنفس أثناء الحوار ويمنعه من الوقوع في فخ المجاملات الزائفة وتقديم التنازلات المهينة والمحاور المسلم يستمد قوته من قوة الإسلام، والعزة الإيمانية ليس معناها العناد والاستكبار على الحق إنما خضوع لله تعالى وخشيته، لأن الشعور بعزة المؤمن يجعل الطرف المسلم في الحوار يجهر بالحق ويصدع به دون تردد ويكون واضحاً في بيان الحقائق وهو ينطلق في كل ذلك من نصوص القرآن الكريم مثل قوله تعالى: {أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ}وقوله: {فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ} وفي الجهر بالحق يتأسى المحاور المسلم بالرسول صلى الله عليه وسلم فيما أمره الله تعالى: {فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ} ووجوب الجهر بالحق دون لبس يصحبه استشعار خطورة كتمان حقائق الدين فقد حذر الله تعالى الذين يكتمون حقائق الدين بقوله: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ}، كما حذر عز من قائل أهل الكتاب من تزوير الحق قائلاً:{لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ} وإذا كان من أهم أهداف الحوار مع الآخر توضيح الحقائق وبيانها فإن المداهنة والمجاملة الزائفة المبنية على تلفيق المواقف والأفكار وتغطية الحقائق وتزويرها يتناقض مع غاية الحوار وغرضه لأن كتمان الحقائق وقلبها أو التعامل الانتقائي مع

المعلومات حسب الهوى لا يخدم في بناء الأرضية الصلبة للحوار والتدرج في مراحله بأي حال من الأحوال.

الكلام المبني على الحجة والبرهان: فمن أهم أصول الحوار وضوابطه تحري الحجة والبرهان في الكلام، ولا قيمة لحديث أو كلام يعوزه الدليل والبرهان ولكي يكون الحوار منتجاً ومفيداً لابد لطرفي الحوار أو أطرافه من بناء أفكارهم وآرائهم على الأدلة الواضحة والبراهين القاطعة، كما لابد من صحة الدليل ودقة النقل، فقد قيل: إن كنت ناقلاً فالصحة أو مدعياً فالدليل وعناية القرآن الكريم بالدليل والبرهان وجعله معياراً للقبول والرد في كل شيء سواء في الأفكار والمعتقدات، أو الأحكام والمبادئ أمر واضح لا يحتاج إلى كثير بيان واستدلال.

ومن خلال نظرة سريعة إلى الآيات المباركة التي تشتمل على كلمات البرهان والسلطان والحجة نجد أن القرآن يدعو دائماً إلى إقامة الدليل والبرهان كأساس لقبول الأمور وردها:قال تعالى آمراً نبيه ص بمطالبة الكفار بالدليل: {قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} وقد تكرر ذلك في أكثر من موضع في القرآن الكريم ومن يتدبر القرآن يجد بكل وضوح أن كلمات البرهان والسلطان والحجة قد وردت في مواضع كثيرة منه وتتعلق كثير من هذه الآيات المباركة بحوار النبي صلى الله عليه وسلم مع الكفار ومطالبته عليه السلام إياهم بأمر من الله تعالى بتقديم الأدلة

والبراهين لإثبات عقائدهم وتبرير مواقفهم من القضايا المثيرة للخلاف ويحذر القرآن الكريم المشركين من ارتكابهم الشرك بلا دليل وبرهان فيقول: {وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ}.

ولا يخفى شرف العلم وفضله في القرآن الكريم وكذلك مكانة العلماء وطلبة العلم، فالعلم طريق الإيمان ودليل التوحيد الذي هو أصل الأصول في أمور الدين كله قال تعالى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ}ومن يتصدى للحوار مع الآخر لابد له من التسلح بالعلم، خاصة العلم بموضوع الحوار وتشعباته لأن الجهل بموضوع الحوار وأساسياته يؤدي بالمحاور إلى الجدال في شيء لا يدرك جذوره وخلفياته وأبعاده،كما أن على المحاور أن يكون مدركاً لوجهة نظر الطرف الآخر حتى لا يتكلم في أمور خارجة عن دائرة موضوع الحوار وقد جعل القرآن الكريم العلم من الأمور الضرورية التي يجب توافرها في المحاور، وعاب على من يجادلون في الأمور بغير علم قال تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ}.

أدب الحوار فى الاسلام:

من الأصول التي يضعها القران الكريم للحوار مع الآخر التزام المحاور المسلم بالأخلاق الحسنة خلال الحوار ومنها بإيجاز:

أ-المحاورة بالحسنى : من أهم وأبرز أخلاقيات الحوار حسب ما جاء في القران الكريم التزام المحاور المسلم بأصل الحوار بالحسنى والابتعاد عن الغلظة والقسوة والعنف أثناء المناقشات قال تعالى: {ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}والحوار الهادئ يفتح القلوب للحق والإذعان له ويجعل الكلام يؤثر في النفس، بينما القسوة والغلظة تجلب النفور وتؤدي إلى ابتعاد الناس عن صاحب الدعوة والمحاور، ولذلك وصف الله تعالى رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام بأنه بعيد كل البعد عن القسوة والغلظة فقال: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ}وهذه الآية الكريمة تكشف عن مفتاح مهم من مفاتيح نجاح دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيطرتها على النفوس والقلوب، وفي سيرته عليه الصلاة والسلام أسوة حسنة لكل داع ومحاور في الالتزام بالحسنى خلال الحوار وتجنب كل أنواع الغلظة والمواقف العنيفة وفي آية أخرى أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بمحاورة أهل الكتاب بالحسنى فقال جل وعلا: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ}.

الصبر والحلم: ومن أخلاقيات الحوار أن يتسم المحاور المسلم بالصبر والحلم والابتعاد عن الغضب وأن لا يستفز مهما كان الموقف. قال تعالى

آمرا نبيه عليه الصلاة السلام بالعفو عن الناس وترك الغلظة عليهم: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} ولاشك أن العفو أعلى درجة من كظم الغيظ ورد الغضب لأن العفو هو ترك المؤاخذة وطهارة القلب والتسامح مع المسيء ومغفرة خطيئته.

الرحمة والشفقة: ومن أدب الحوار وأخلاقياته في القرآن الكريم أن المحاور المسلم يجب أن يكون حريصا على ظهور الحق وشفيقا على من يحاوره لأنه يسعى لهداية الآخرين واستقامتهم ولا يجوز له أن يجعل الحوار وسيلة للانتقام والكيد وفرصة للتنفيس عن الأحقاد ونشر العداوة والغلّ.

مقابلة السيئة بالحسنة: ومن أخلاقيات الحوار في القرآن الكريم كون المحاور المسلم يقابل الشدة بالرأفة، وفحش الكلام بطيبه، ويرد الكلمة الجارحة بالكلمة اللينة ويدفع الاحتقار بالاحترام قال تعالى: {وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} فهذا أمر صريح من الله تعالى للداعية والمحاور المسلم بأن يكون في مستوى أرفع أثناء حواره مع الآخرين وذلك بالترفع عن الانتقام ومعاملة المثل بالمثل في فحش الكلام والشدة والاحتقار

والسخرية ولاشك أن ذلك لا يتأتى إلا باتصاف المحاور المسلم بالصبر والحلم والبلوغ إلى درجات عليا من الخير والخلق الحسن.

توخي العدل والإنصاف: الإسلام دين العدل وأكد على الالتزام بالعدل والإنصاف في المواقف كلها قال الله عز وجل آمرا المؤمنين: {اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى}وقال تعالى: {إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ} ولا يجوز للمسلم أن ينحرف عن جادة العدل مهما كانت الظروف وعليه أن يراعي الإنصاف مع الصديق والخصم والمسلم والكافر على حد سواء قال تعالى :{وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ}.

الحرص على طلب الحق : يجب أن لا ننسى أن القرآن لا يجيز الحوار إلا لبيان الحق، واقناع الآخرين به، واتمام الحجة عليهم وإذا كان الأمر هكذا فالحرص والتجرد لطلب الحق بعيدا عن أي مؤثر آخر هو أصل أساس من أصول الحوار ويمكن للتحقيق هذا الأصل أن يفترض المحاور المسلم –ولو نظريا- احتمال ثبوت الحق على لسان الطرف الآخرقال تعالى: {قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}ويجب اتباع الحق بصرف النظر عن الذي ينطق به ولا يجوز بأي حال من الأحوال الانحراف عنه أو رفضه قال تعالى: {أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى}ورفض الحق ليس إلا ضلالا وانحرافا بنص القرآن الكريم: {فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ

الضَّلاَلُ} هذه هي بعض الأصول التي وضعها القرآن الكريم للحوار مع الآخر، وطبّقها رسول الله صلى الله عليه وسلم عملا في التعامل مع غير المسلمين بشتى أصنافهم وفيها نبراس لمن يريد الدخول في حوار منتج وهادف للوصول إلى الحق.